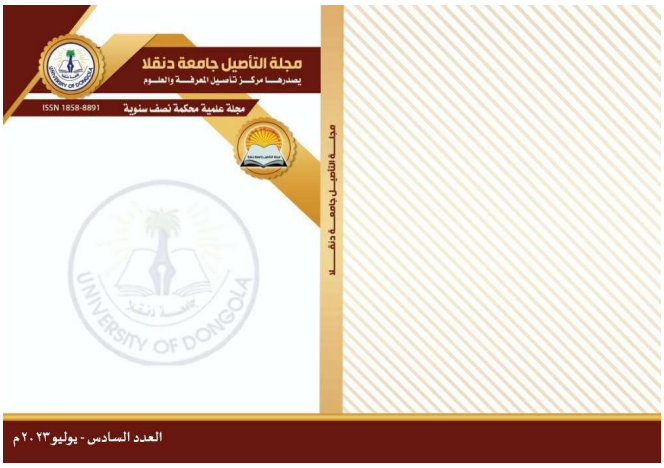

مجلة التأصيل جامعة دنقلا

العدد السادس يوليو ٢٠٢٣م

هيئة التحرير

المشرف العام

د. الوليد إبراهيم مصطفى موسى

رئيس التحرير

د. الأمين عثمان شعيب

نائب رئيس التحرير

د. صالحة سيد أحمد عبد الله

المحـــررون:

د. عبد الله الطيب علي أحمد

د. أشرف إبراهيم عبد الله إبراهيم

د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد

د. محمد علي محمود الزين

أ. أبو القاسم علي محمد عقيد

هيئة المستشارين

أ.د. عبد الحكيم حسن إبراهيم
أ.د. معاوية بابكر حسن المهدي
أ.د. كباشي حسين قسيمة إسماعيل
أ.د. الزهور حسن الماهل
أ.د. مهيد محمد المتوكل
أ.د. الطيب محمد المصطفى حياتي
أ.د. علي أحمد بابكر
أ.د. كمال الحاج الحسين عبد الرحمن
أ.د. كمال عبد الله المهلاوي
أ.د. قيس عبد الله إبراهيم الحاج
د. أبو القاسم خليفة التهامي
د. أحمد محمد زين
د. رحاب عبد الرحمن الشريف
د. قاسم عمر أبو الخير
د. محمود محمد أحمد علي عثمان

قواعد النشر:

* تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدَّمة إليها وفق رؤية تأصيلية.
* تقبل البحوث من كافة الباحثين داخل وخارج السودان.
* ألاَّ يكون البحث قد نشر أو قيد الدراسة للنشر في أية دورية أو مجلة علمية أخرى.
* ألاَّ تكون الورقة جزءً من رسالة جامعية أو كتاب منشور.
* يرسل البحث إلكترونياً على بريد المجلة بنوع خط Simplified Arabic بـنط ١٤ بمسافة واحدة.
* يُقدم البحث مطبوعاً على ورق A4. على ملف وورد (٢٠٠٧).
* ألاَّ تزيد عدد الصفحات عن (٢٠ صفحة) (٧٠٠٠ كلمة) باللغة العربية ويرفق ملخص للبحث لا يزيد عن (١٠٠ كلمة) باللغة العربية.
* مراعاة الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية.
* تُوضع إحالات المراجع داخل النص (المنهج الأمريكي) ومن ثم تأتي تفاصيل المراجع كالآتي:

– اسم العائلة، الاسم الأول، سنة النشر، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٢٠٠٤م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.

– في حالة التوثيق من المجلات: اسم المؤلف، سنة النشر، ويُوضع عنوان المقال بين علامتي تنصيص، ثم اسم الدورية، المجلد أو العدد، بلد النشر، ثم ترتيب صفحات المقال داخل العدد.

حسن، صالح رمضان، ٢٠٠٢م، "الصحابي المجاهد، النعمان بن مقرن المزني"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع والعشرون، دبي، ص ص٢٣٠– ٢٤٨.

– بالنسبة للرسائل الجامعية: اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الرسالة، نوع الرسالة (ماجستير – دكتوراه)، الجامعة المانحة للدرجة.

عبد الرازق، فائز أحمد ، ٢٠٠٨م ، فاعلية استخدام مسرح العرائس في تنمية بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بور سعيد.

* تُعرض البحوث المقدَّمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهم بسريَّة تامة.

* للمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية تتناسب ورسالة المجلة.
* تعتذر المجلة عن النظر في البحوث المخالفة لقواعد النشر.
* تنقل حقوق طبع البحث ونشره إلى مجلة التأصيل جامعة دنقلا بعد إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر.
* الأفكار الواردة في المجلة تعبِّر عن رأي الباحثين وليس عن رأي المجلة.
* يتم دفع رسوم وقدرها سبعة ألف جنيه للبحوث بالداخل، وخمسون دولاراً للبحوث بالخارج بغرض التحكيم.
* البحوث التي لا تنشر لا ترد لأصحابها.
* ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي: مجلة التأصيل جامعة دنقلا جمهورية السودان على البريد الإلكتروني الآتي : jruofd2018@gmail.com

أو الاتصال على التلفونات التالية: ٠٠٢٤٩١٢٣٣٢٣٢٦٤ – ٠٠٢٤٩٩١١٠٨٠٠٠١

محتويـــات العـــدد

الموضـــــوع	الكـــاتب	صفحة
هيئة التجرير		ب
مستشارية التحرير		ج
قواعد النشر		د
محتويات العدد		و
كلمة العدد		ز
النصوص المبنية على الأعراف والأحوال	سهاد رشيد حميـــد	١
المناظرات الكلامية بين السلف الإمام الجويني و أبو جعفر الهمذاني. إنموذجاً	عثمان عطية إسماعيل	١٥
نشأة وتطور القضاء الإداري من خلال الشريعة الإسلامية	سلوى إبراهيم محمد على	٣٨
الأولياء والصالحين في السودان	نصر الدين سليمان علي	٦٦
الرُخصة الشرعية شروطها وضو ابطها عند الأصوليين	أشرف إبراهيم عبد الله إبراهيم	٨١
مراكز تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية (دراسة إحصائية – دعوية)	أحلام عبد الرحيم أحمد مصطفى	٩٦
أثر الفروقات اللغوية في اختلاف معاني القر آنية	هاورى سلام صالح	١١٢
و اقع أداء الفرق الافتراضية في مدرسة كفر عقب الجديدة خلال جائحة كورونا (دراسة حالة)	فاتنه "محمد راتب" نمر ادكيدك	١٢١
و اقع استخدام المكتبات الرقمية في الجامعات الأردنية من وجهة نظر القيادات الأكاديمية	آلاء طارق الضمرات & إيمان عثمان المصري	١٤٣
الإرهاب الدولي: (النشأة والأسباب وسبل المكافحة)	علي الصادق الخليفة علي	١٥٤
وسائل دفع الإجمال في النحو والصرف دراسة استقصائية تحليلية	إجلال عمر محمد سليمان	١٧٥
حماية المو اقع الأثرية في ظل التشريعات الدولية والقو انين الوطنية (السودان أنموذجاً)	الرشيد محمد إبراهيم	١٩١
المضامين والدلالات التاريخية للدفن في جبانة نوري	الأمين عثمان شعيب	٢٠٣

كلمة العـــدد

بحمد الله وتوفيقه يصدر العدد السادس من سلسلة مجلة التأصيل عن جامعة دنقلا ومن رحِم الحرب التي تشهدها حاضرة البلاد الأمر الذي أثَّر وسيؤثر كثيراً في حركة الفكر والتأليف في هذه البلاد، غير أن عزيمة المفكر والباحث السوداني تثبت دوماً أنها قادرةٌ على مواجهة الأزمات نظراً وفكراً واجتهاداً، إضافة إلى رفد المجلة بموضوعات ذات أهمية من قبل باحثين أكاديميين من دول عربية شقيقة، وما صدور هذا العدد في مثل هذه الظروف إلا مؤشراً في هذا الاتجاه.

لقد حرصت إدارة المجلة على أن يرى هذا العدد النور – في هذا الظرف الحرج من تاريخ بلادنا - حتى تستمر حركة الفكر السوداني في أداء دورها المشهود والمحمود في فتق أَسارِ المشكلات الاجتماعية، ورتقِ النشاط المجتمعي بما يرشح عن حركة البحث العلمي، ولتتواصل هذه الحركة القاصدة إلى معالم التأصيل ومقاصد التنزيل الحكيم استرشاداً، والمنتفعة بأعمال العقل الحر خدمةً للمجتمعات الإنسانية في حاضرها ومستقبلها.

القراء الكرام/

لقد حفل هذا العدد بثلةٍ من البحوث المتشعِّبة الاهتمام، والمتباينة المنازع، والتي نسأل الله أن تنال من نظركم ونقدكم حظاً كبيراً يستفز جموعاً من الباحثين للتواصل معنا بدراساتهم وأبحاثهم خدمةً لشأن "التأصيل" المعرفي.

إن إدارة هذه المجلة تنظر في تخصيص أعدادٍ منها لملفات خاصة مثل قضايا اللغة والنزاعات والمشكلات الاجتماعية وحقوق الإنسان والقضايا الدولية وحماية التراث وغيرها حتى تتركز فائدة القارئ ويتصوب اجتهاد الباحثين، وفي هذا الصدد نسعد بمدنا بمقترحاتٍ تخدم هذا الهدف.

وننتهز هذه السانحة لنبشر بفتوحاتٍ لهذه المجلة تمثلت – بفضل الله - في المشاركات العلمية لمؤتمرات دولية وندوات قاريةٍ وإقليمية ومنتديات عدة، الأمر الذي يفتح لها آفاق أرحب في الانتشار والوصول لعدد أكبر من المهتمين بالبحث العلمي والنشاط الفكري إقليمياً وعالمياً.

ونجدد العهد بكم وبعون الله تعالى أن تسعى إدارة هذه المجلة لمزيد من التطوير والتجويد والتحديث في المضمون والمحتوى وفي الشكل والإخراج وفي علاقة المجلة بقرائها الكرام، ونرجو أن يتم كل ذلك مشاركةً بين المجلة وقرائها والباحثين.

والله الموفق.

أسرة المجلة

المضامين والدلالات التاريخية للدفن في جبانة نوري

د. الأمين عثمان شعيب(*)

المستخلص:

تعد جبانة نوري الملكية واحدة من أهم المدافن في السودان القديم إذْ تقدِّم الدليل المادي على تفرُّد الملوك الكوشيين في فن وعمارة البناء الجنائزي بشقيه العلوي والسفلي خاصة أنها الجبانة الملكية الثانية بعد جبانة الكرو الملكية. تهدف الدراسة إلى تبيين وتفسير المدافن الملكية بجبانة نوري من حيث بناها العلوية والسفلية وما اشتملت عليه من تغيرات طرأت على نمط الدفن خصوصاً في البنى السفلية. وتتمثل مشكلة البحث في اختيار الملك تهارقا لجبانة نوري كي تكون مقراً أبدياً له ولأحفاده من بعده. واستخدم الباحث المنهج التاريخي لسرد التسلسل التاريخي للملوك ومدافنهم، والمنهج الوصفي التحليلي لما اشتملت عليه المدافن، وخرجت الدراسة بعدد من النتائج أهمها: العلاقة الوطيدة بين جبانة نوري ومعبد البركل (B-500) من حيث العلاقات الزمانية والمكانية. وتفرد الملكين أنلماني وأسبلتا بأن دفنا في توابيت حجرية بدلاً عن التوابيت الخشبية. والتغير الذي طرأ على غرف الدفن بأن تم إضافة غرفة أخرى ليصبح عددها ثلاث غرف.

الكلمات المفتاحية: جبانة نوري، المدافن الكوشية، تطور الدفن.

مقدِّمة:

شهد إقليم وادي النيل الأوسط ميلاد وتطور كيانات حضرية منذ وقت مبكر من فجر التاريخ، فدولة كرمة (كوش الأولى) (٢٥٠٠-١٤٥٠ق.م) تحكي عظمة إنسان المنطقة. ومع ميلاد الدولة المصرية الحديثة (١٥٥٠-١٠٨٠ق.م) تعرضت أرض كوش للاحتلال من قبل فراعنة تلك الدولة، وظلت لوقت طويل تحت سيطرة مصر، الأمر الذي أدى لتمصير واسع طال مجالات عديدة في حياة أهلها خاصة النخب منهم.

من المحتمل أن زعماء الأسرة النبتية في كوش قد اختاروا نبتة عاصمة لدولتهم نسبة لموقعها الاستراتيجي؛ ولأنها كانت مركزاً دينياً مهماً قبل تأسيس دولتهم. لا شك أن ألارا والأوائل من ملوك نبتة الذين كوَّنوا فيما بعد الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت مصر (٧٥٠-٦٦٣ق.م) قد بدءوا أولاً بتثبيت دعائم حكمهم داخلياً، وذلك بإرسال قواتهم من نبتة جنوباً وشمالاً لتوحيد كل القبائل في شمال السودان(السمحوني، ١٩٧١م، ١٤).

(*) أستاذ مساعد، كلية الآداب والدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا

إنَّ اختيار ملوك تلك الأسرة لنبتة عاصمة لدولتهم كان يقوم على أساس جغرافي، فهناك يتسع السهل الزراعي نسبياً، ويسهل الاتصال ببقية أنحاء السودان القديم؛ فمن الجنوب يصلها النيل والطريق البري الذي يبدأ عند "أبو دوم" ويخترق صحراء بيوضة حتى يصل إلى شندي، وبالشمال يربطها بمصر النهر والطريق المحازي له(محمد إبراهيم بكر، ١٩٩٨م، ١١٤). إلى جانب الأهمية الدينية اكتسبت نبتة أهمية اقتصادية لأنها تقع في منطقة خصبة في شمال السودان، كما أنها أصبحت بموقعها هذا بعيدة عن الاضطرابات التي شهدتها مصر في تلك الفترة(Fairsevice, 1962: 180-181).

ظلت الأسرة الكوشية محتفظة بسلطانها خلال أجيال عديدة، فخلدت التقاليد الدينية ضمن القناعة العميقة بأن الملوك الكوشيين هم الحماة الشرعيون، والأبناء الحقيقيون لإله الجبل الطاهر، واهب كل سلطة ملكية على الأرض(كندال، ١٩٩٦-١٩٩٨م، ٦٤).

لعبت المعتقدات الدينية عموماً، والعقيدة الآمونية بصفة خاصة دوراً أساسياً في نشأة واستقرار واستمرار دولة كوش، إذْ أنَّ قراءة نقوش ملوك هذه الدولة تؤكد الأهمية الكبيرة للجانب الديني في تلك الدولة لدرجة أن معظم ألواحهم يغلب عليها الطابع الديني، وقد شكَّل الإله آمون نقطة الانطلاق للنشاطات الكوشية الكبرى، فكل الملوك تقريباً تلقوا سلطتهم الملكية والسيادة والقوة من الإله آمون، وقضوا على أعدائهم ومنافسيهم بفضل رضائه عنهم وقوتهم التي استمدوها منه، وبرَّروا بهديه كل أفعالهم ورغباتهم، وتظهر الصورة بوضوح أكثر في نصوص اعتلاء العرش، أو تسجيل الانتصارات.

عادات وتقاليد الدفن قبل جبانة نوري:

تعكس عادات الدفن بعض مناحي التفكير العقدي لأصحاب الحضارات. ففي النوبة السفلى كان أصحاب حضارة المجموعة (أ) يدفنون موتاهم في جبانات على أطراف الصحراء بحيث تتاخم الوحدات السكنية(Trigger,1967:35) وكانت بُنية القبر الفوقية في تلك الفترة تأخذ هيئة كوم صغير بيضاوي أو دائري، أما البناء التحتي للقبر فكان حفرة بسيطة يوضع فيها الميت على هيئة القرفصاء(شارلس بونيه، ١٩٩٦-١٩٩٨م، ٢١). الشكل الخارجي للمقابر عبارة عن كوم ترابي على سطح الأرض(وليام آدمز، ٢٠٠٥م، ١٣٨).

أما في فترة حضارة المجموعة (ج) فقد كانت البُنى الفوقية للقبور في شكل كوم مستدير، بينما كان البناء التحتي عبارة عن حفرة مستطيلة أو بيضاوية الشكل، كان الميت يوضع على هيئة القرفصاء ويغطى بجلد. ويمتد القبر من الشمال

للجنوب(وريام آدمز، ٢٠٠٥م، ١٦٠). كما شهدت أواخر فترة المجموعة (ج) دفن الميت على عنقريب ، ورافق المتوفى في كل الأحوال أثاث جنائزي(شارلس بونيه، ١٩٩٦-١٩٩٨م، ٢٥).

لم تشذ قبور أصحاب حضارة كرمة عن بعض السمات التي توفرت في مدافن أهل المجموعتين (أ) و (ج)، فشكل القبر الخارجي حافظ على الكوم، مع ملاحظة عظم حجمه. أما البناء التحتي فاختلف نتيجة لاختلاف وضع صاحب القبر في السلم الاجتماعي، فقبور العامة كانت عبارة عن حفرة بيضاوية أو دائرية يوضع فيها الميت على عنقريب أو مقرفصاً كما هو الحال في قبور أصحاب حضارة كرمة في منطقة الشلال الرابع، ويوضع الأثاث الجنائزي بالقرب من الميت. وفي جبانة كرمة عثر على قليل من الأضاحي الحيوانية والبشرية في مثل تلك القبور(Reisner, 1923, 23).

أما مدافن النخبة في فترة كرمة الكلاسيكية فكانت تتميز ببناء فوقي ضخم، أما بنيتها التحتية فكانت تحتوي على ممر توضع فيه الأضاحي الحيوانية بالإضافة إلى حجرات عديدة منها حجرات تحوي الأضاحي البشرية والحيوانية والأثاث الجنائزي والمتوفى صاحب القبر الذي كان يوضع على عنقريب(Reisner,1923,32:؛ شارلس بونيه، ١٩٩٦-١٩٩٨م، ٣٩).

ظل الكوشيون في الطورين النبتي والمروي يحافظون على أوجه عديدة من سمات الدفن لدى من سبقهم من شعوب إقليم وادي النيل الأوسط، ويظهر ذلك بجلاء في جبانة الكرو، التي يؤكد مدافن أسلاف الأسرة الخامسة والعشرين فيها المحافظة على تلك التقاليد.

تقاليد الدفن بجبانة نوري الملكية:

تقع نوري على بعد عشرة كيلومترات إلى الشرق والشمال الشرقي من جبل البركل على الضفة اليسرى للنيل. على بعد حوالي ١٣ كلم أعلى النيل من صنم أبو دوم في ذات الضفة اليسرى، وعلى بعد حوالي ٢٦ كلم أعلى النيل من الكرو. تقف على حافة الصحراء وراء القرية أهرامات عديدة وسط التلال المنخفضة التي تأخذ شكل حدوة الحصان، في منطقة مكشوفة ومغمورة بالرمال التي حملتها الرياح حتى غمرت جل الأهرامات(Reisner,1918a:69). بنيت الجبانة فوق منطقتين مرتفعتين نسبياً عن مستوى سطح الأرض توازي إحداهما الأخرى، وهي تمثل الجبانة الملكية الثانية بعد جبانة الكرو، دفن فيها كثير من ملوك وملكات مملكة كوش الثانية. وتقف أهرامات نوري في مجموعة متقاربة تحيط بها الكثبان الرملية وتتخذ من توزيعها هيئة حدوة الحصان، ويبدو أكبر الأهرامات على

الإطلاق في الجبانة ظاهراً للعيان وتحيط به من الشمال والشرق والجنوب عدد من الأهرامات أقل حجماً ويبلغ عددها أربعة عشر هرماً كبيراً وأكثر من خمسة وعشرين هرماً صغيراً(الحسن أحمد، ٢٠٠٧م، ١٣٩).

بعد أن كاد المكان يمتلئ في جبانة الكرو بأهرامات الملوك والملكات الذين سبقوا الملك تهارقا وقع الاختيار على منطقة نوري التي توجد إلى الشمال من الكرو على الضفة الأخرى للنيل، كي تكون مقراً أبدياً للملك تهارقا وخلفائه، وفيها بنى ذلك الملك أكبر هرم في بلاد كوش(محمد إبراهيم بكر، ١٩٩٨م، ١٢٥). إن إنشاء جبانة جديدة في نوري بدلاً عن جبانة الأجداد في الكرو لهو من الأمور التي تميز بها هذا الملك الذي أراد بناء هرم كبير يليق بمقامه، فهرمه في نوري (Nu.1) هو ليس فقط أكبر الأهرامات الموجودة في هذه الجبانة حيث يرتفع لحوالى ٦٠ متراً بل في كل أصقاع بلاد كوش، وقد أشار العلماء إلى خطته المعمارية وبخاصة في تخطيط غرف الدفن التي تعكس رغبته في التفرد(سامية بشير، ٢٠٠٥م، ٧٨-٧٩). وبذلك يعتبر مؤسساً لهذه الجبانة. أما آخر ملك دفن في جبانة نوري فهو الملك نستاسن (Nu.15) (٣٣٥-٣١٥ق.م) وقد انتقل الدفن بعد ذلك إلى الجبانة الجنوبية في مروى(Reisner, 1923: 59).

تشغل جبانة نوري مساحة لا تختلف كثيراً عن مساحة جبانة الكرو، فهي هضبة رملية تنبسط ممتدة من وراء أطراف السهل الفيضي، وتؤلف بذلك واحدة من صروح كوش التي تقع في قلة متناهية على الضفة اليسرى للنيل. إن الافتراض القاضي بأن تهارقا شيَّد هرمه هنا لأن جبانة الكرو كانت ممتلئة قد يحمل شيئاً من الحقيقة(Arkell,1961:117)، ولكن يفشل الافتراض بوضوح في وضع الاعتبار لعملية اختيار الأمكنة المحلية، فأماكن أخرى كثيرة ربما كانت تؤدي نفس الغرض. يمكن القول فيما يقرب من اليقين أن الملك تهارقا كان يقلد ممارسات فراعنة مصر الأوائل، فالأهرامات الملكية العظمى في مصر العليا والسفلى بُنيت على هامش الصحراء الغربية، في المقابل بُنيت المعابد العظيمة في الكرنك وممفيس على الضفة اليمنى، وفى مواجهة جبل البركل تقف نوري تماماً على نفس النهج(وليام آدمز، ٢٠٠٥م، ٢٦٧).

قام رايزنر بعمل حفائر في منطقة أهرامات نوري، وكشف عن محتويات عدد عظيم منها، وحقق معظم أسماء أصحابها. تمكن رايزنر من معرفة أصحاب الأهرامات بواسطة الآثار التي عليها أسماءهم ووجدت داخل حجرات الدفن، خاصة الأحجار ثقيلة الوزن التي لم يكن حملها سهلاً إلى أماكن بعيدة عن مكانها الأصلي(سليم حسن، ١٩٥٦م، ج١١، ٢٦٥)". وبدأ العمل الحفر في جبانة نوري

في ٢٦ أكتوبر ١٩١٦م حيث تمَّ تنظيف الناحية الجنوبية الشرقية في الهرم الكبير، وقد أعطاه رايزنر الرقم (Nu.1)(Reisner, 1918a: 70).

يُعد هرم الملك تهارقا أكبر مدفن ملكي في كوش يبلغ ضلع قاعدته ٩٥ قدماً وينتصب بالقرب من مركز الجبانة، في حين شيِّدت أهرامات الملوك اللاحقين في صفين على الاتجاه الجنوبي الشرقي منه. أما بالقرب من الجانب المقابل لهرم تهارقا فتحتشد أهرامات الملكات متضائلة في الصغر للغاية(سليم حسن، ١٩٥٦م، ٢٦٨).

تنتشر أهرامات نوري على هيئة مجموعتين متوازيتين. ربما يبلغ طول أحد أضلاع أهرامات الملوك ٢٨ متراً، أما ارتفاعها فيتراوح بين ٢٠ إلى ٤٠ متراً فيما خلا مدفن الملك تهارقا. ويبدو جلياً أن خلفاء الملك تهارقا رضوا بأن يكون هرمه بضعف حجم هرم أي ملك منهم. أما أهرامات الملكات فكان طول أحد جوانبها ٩ أمتار – لكن في نهاية العصر – صار طول أهرامات الملكات الرئيسات يصل إلى ١٧ متراً، وهذا يدل على ازدياد أهميتهن السياسية. درج الكوشيون على بناء مقصورة في الجوانب الشرقية للأهرامات مدخلها قبالة مشرق الشمس، كانت توضع فيها القرابين لصاحب القبر ، مثل الأطعمة والمشروبات(كندال، د.ت، ٣٩).

صورة رقم (١) صورة جوية توضح توزيع أهرامات نوري عن كندال ٢٠٠٦م

إن الضفة اليسرى للنيل التي بنى فيها هرم الملك تهارقا بمثابة الضفة الغربية للنيل في مصر وهي جهة مغرب الشمس حيث يرتبط ذلك بالموت في عقائد قدماء المصريين، ونظراً للحلقة الكبرى التي يشكلها النيل كرمز للحياة في مصر، فإن

جبانة نوري توجد في هذه المنطقة أي في اتجاه الشرق الذي يعني جهة مشرق الشمس وارتباط ذلك بأسطورة تجدد الحياة. أما إذا نظرنا من نوري فإن الشمس تهبط على جبل البركل لحظة تعامدها على المدار الصيفي (السرطان) وعندها يأخذ مستوى مياه النيل كل سنة في التصاعد كيما يغمر الشطئان بالفيضان، كان هذا التراصف الكوني يوجد مجموعة من العلاقات ذات الدلالات لا بدَّ أن يؤدي فيها الموت والظلمات والهزيمة إلى توليد الحياة والنور والنصر والاستقرار، سواء بالنسبة للملك المتوفى أو بالنسبة لأسرته(كندال، ١٩٩٦-١٩٩٨م، ٦٣).

توصل كندال في هذا الصدد إلى نتيجة نلخصها في الآتي: نقش الملك تهارقا عند قمة النتوء بجبل البركل نصوصاً في مكان لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن قراءتها من على سطح الأرض، ولكن يمكن مشاهدتها، وبما أن النصوص قد كتبت لعيون الآلهة فقط، فإن رقائق الذهب ستجعل النصوص أكثر المناطق الملفتة للنظر في الجبل، وتتجه ناحية الغرب بزاوية ١٦٠ بما يجعل رقائق الذهب تعكس أشعة الشمس لمناطق مختلفة في أوقات مختلفة من اليوم والسنة، ويمكن مشاهدتها من الضفة الأخرى للنيل. فظل هذا الجزء شبه المنفصل في وقت معيَّن من أيام السنة يشير مباشرة إلى موقع جبانة نوري وتحديداً إلى قمة هرم الملك تهارقا، وهذا ما ساعد كندال على أن يقترح سبب اختيار الملك تهارقا لجبانة نوري بحيث يكون هرمه مكاناً لدفنه استناداً على العلاقات المكانية والزمنية بين جبل البركل ونوري خلال فصول السنة، جدير بالذكر أن الملوك الذين دوِّنت أسماؤهم في قمة الجزء شبه المنفصل عن جبل البركل هما الملك تهارقا أول من دفن في نوري، والملك نستاسن آخر من دفن بها(Kendall,2006:1).

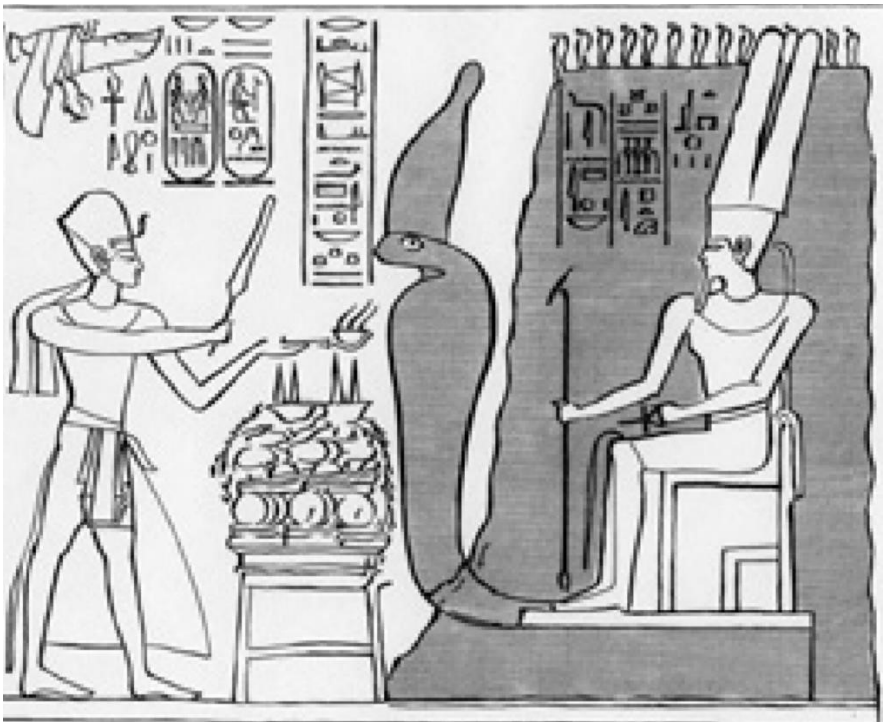

شكل رقم (١) يوضح النقوش على قمة الجزء المنفصل بجبل البركل، عن كندال ٢٠٠٦م

كانت كل المدافن في جبانة نوري على هيئة أهرامات، فكان الهرم عبارة عن بناء حجري ذو مداميك مدرجة بقوائم وأركان تبنى على أساس بارز كما في قبر الملك تهارقا (Nu.1)، والملاحظ أن جميع الأهرامات في جبانة نوري بنيت من الحجر الرملي النوبي. فتميزت بصغر حجمها ووجهها الأملس، وقد تعرض بناؤها العلوي لضرر بليغ، ولم يبق منها سوى القليل(Dunham,1955:7-9) خاصة أن الحجر الرملي لا يصمد كثيراً أمام عوامل التعرية الجوية التي أثَّرت كثيراً على جسم البنى الفوقية لهذه المدافن(سامية بشير، ٢٠٠٥م، ١٩٨). تعاني الجبانة من تراكم كثبان الرمل والتعرية الطبيعية والبشرية، فأهالي نوري استخدموا كتل حجارة الأهرام في بناء قواعد أبواب منازلهم منذ قديم الزمان(خضر آدم عيسى، ١٩٩٢م، ١٩).

دفن في تلك الجبانة أيضاً الخليفة الثاني للملك تهارقا ابنه أتلانرسا. وخلال الثلاثمائة وستين عاماً التي استخدمت فيها الجبانة، دفن في نوري تسعة عشر ملكاً وحوالي ثلاثة وخمسين ملكة احتلت مقابر الملكات بأهراماتها الصغيرة المنطقة التي تقع شمال وغرب هرم الملك تهارقا، بينما شغلت مقابر الملوك الجزئين الجنوبي والجنوبي الشرقي(Reisner, 1918b: 63-64).

هرم الملك تهارقا:

تبلغ مساحة هرم الملك تهارقا (Nu.1) حوالي ٥٢ متراً مربعاً في القاعدة، وتبلغ درجة ميلانة ٦٩° مما يعني أن جملة ارتفاعه تبلغ ٦٣ متراً، وهذا الهرم مبني من الحجر الرملي الأحمر، وتحته هرم آخر صغير بني من الحجر الرملي الأبيض يبدو كأنه كوم من الرديم، عثر عليه رايزنر بعد نظافة سطح الهرم الخارجي، وبمعرفة زاوية ميلانه حسب أن قاعدته تبلغ ٢٨.٥ متراً مربعاً، بينما بلغ ارتفاعه حوالي ٢٨ متراً. وبناءاً على عدم عثوره على مقصورة قرابين أو ودائع أساس للهرم الخارجي، وعلى ملاحظته أن الدرج الهابط في الجانب الجنوبي الشرقي للهرم، والذي يؤدي إلى غرفة الدفن يخطئ مركز الهرم بثلاثة أمتار. قرر رايزنر أن هرم الملك تهارقا (الخارجي) هو إضافة لاحقة تغطي الهرم الأصلي الصغير (الداخلي) (Reisner,1918a:68).

صورة رقم (٢) تبين هرم الملك تهارقا بجبانة نوري، تصوير الباحث

تعتبر هذه المقبرة الأولى في سلسلة الأهرامات الكوشية التي بنيت مدرجة، وهنالك سلم يهبط من سطح الأرض متدرجاً من الناحية الشرقية وينتهي إلى غرفتي الدفن، ويتألف من إحدى وخمسين درجة(Dunham, 1955: 7).

يمثل هرم الملك تهارقا حلقة وصل في تطور البناء الداخلي، حيث أخذ التخطيط العام للهرم التقليد المحلي المتبع في المدافن السابقة، أي بنيته التحتية تشابه المدفنين (Ku.15) و(Ku.18)، الخاصين بالملكين شبكا وشبتاكا لكنه يتفوق عليهما في الحجم وجودة البناء، وينتهي الدرج المكون من واحد وخمسين درجة بمنصة يبلغ طولها ستة أمتار، تقع أمام مدخل الغرفة الأولى(Dunham,1955:8-9).

يحتوي البناء التحتي لمقبرة الملك تهارقا على غرفتين للدفن، تبلغ أبعاد الأولى – والتي تبدو أصغر حجماً من الثانية – حوالي (٣.٣٠×٣.١٠) متراً، وهي تقود عبر مدخل آخر من جهة الغرب إلى الغرفة الثانية "الرئيسة" التي تبلغ أبعادها (١٣.٣٠×١٢.٦٠) متراً، وهي الأكثر تطوراً. توجد بهذه الغرفة ستة من الأعمدة المقطوعة على الصخر تقسم الغرفة إلى ثلاثة أقسام، وتوجد في منتصف الغرفة – أي بين صفي الأعمدة – حفرة مستطيلة أبعادها (٥.٩٠×٢.٤٥) متراً يرجح دنهام أنها مكان التابوت الذي ربما كان مصنوعاً من الخشب، خاصة أنه لم يوجد له أثر، وتلاحظ بعض النقوش الهيروغليفية الخفيفة على جدران هذه الغرفة، مما يؤكد أنها كانت مزينة بالنصوص الجنائزية(Dunham,1955:7). اختفت من المدافن الملكية الدكة الحجرية ذات الثقوب الأربعة المعدة لاستقبال أرجل السرير منذ عهد تهارقا، مما يشير إلى أن الدفن على السرير قد استبدل بالدفن في تابوت حجري كان غالباً ما يوضع على دكة من حجر الجرانيت بدون ثقوب(قسم السيد، ١٩٨٢م، ٦٨).

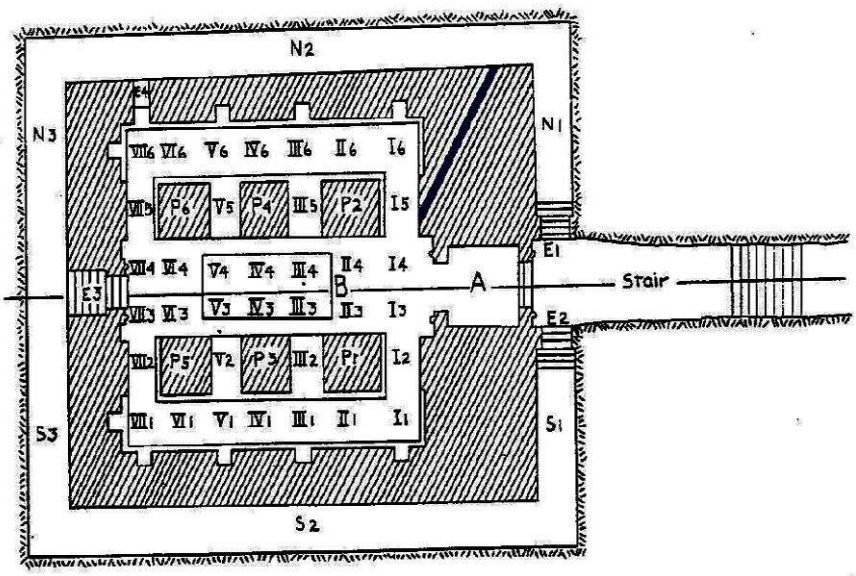

شكل رقم (٢) يوضح تخطيط غرف دفن الملك تهارقا، عن دنهام ١٩٥٥م

خصائص عامة لقبور جبانة نوري:

تتميز الخارطة العامة للمدافن الملكية بنوري بثلاث ميزات: الأولى أن الهرم تتبعه مقصورة بنيت في الجانب الشرقي، الثاني لكل هرم سور يحيط به وبالمقصورة، الثالثة أن السلم المنحدر من الشرق يقود إلى عدد من حجرات الدفن، تتراوح بين حجرتين وثلاث حجرات(Reisner., 1918b: 7. Dunham, 1955: 8).

بنيت أهرامات نوري بنوعين من الصخور الرملية استخدم أفضلها ككساء خارجي، بينما استعملت الصخور الأقل جودة في تكوين قلب الهرم "الحشو"،

وقد اختفى الغطاء الخارجي للأهرامات الآن تماماً ولم تبق إلا الصخور التي تكون قلب الهرم(علي قسم السيد، ١٩٨٢، ٦٠). وصارت معظم الأهرامات عبارة عن كتل صماء من بلوكات مشذَّبة من الحجر الرملي وحشوات من كسارة الحجارة والحصى(سامية بشير، ٢٠٠٥م، ١٧١). فالهرم الكوشي في حد ذاته مبنى حجري ليس به أي حجرات أو ممرات، تلحق به مقصورة جنائزية من جهة الشرق، نقشت على المقصورة صورة وألقاب صاحب الهرم، وهذا ما مكن العلماء من التعرف على أصحاب تلك الأهرامات(محمد إبراهيم بكر، ١٩٦٨، ٧٨).

تقع مجموع القبور الملكية الرئيسة في أقصى الشرق من الهضبة، حيث نجد أحد عشر هرماً متراصة بطريقة منتظمة نسبياً، وخلف هذه المجموعة توجد ثمانية أهرامات أخرى بينها أصغر الأهرامات الملكية في الجبانة(علي قسم السيد، ١٩٨٢م، ٤١)، وهي مرقمة كما يلي: (Nu.17) الخاص بالملك باسكرين (٤٠٥-٤٠٤ق.م)، و (Nu.18) الخاص بالملك أنلمايا (٥٤٢-٥٣٨ق.م)، و(Nu.19) الخاص بالملك نساخما (٤٦٨-٤٦٣ق.م)، و(Nu.20) الخاص بالملك أتلانرسا(٦٥٣-٦٤٣ق.م) و (Nu.16) الخاص بالملك تلخماني(٤٣٥-٤٣١ق.م) (Dunham,1955:218,150,184,32,207). وفي المرحلة الأخيرة من عمر تلك الجبانة اتسمت الأهرامات الصغيرة بحشوات من الرمل والحصى والحجارة غير المشذبة (Nu.16 ، Nu.17 ، Nu.18 ، Nu.19 ،Nu.13، Nu.14 ، Nu.15) (Hakem,1988:267). السور الذي يحيط بالبناء العلوي في كل هرم بنوري لا يخرج عن أحد الشكلين التاليين: الأول سور مبني من الحجر في شكل مستطيل يحوي الهرم والمقصورة الجنائزية، كما في قبر الملك سنكامنسكن (Nu.13). أما الهيئة الثانية فهي عبارة عن مبني من الحجر مستطيل الشكل فيه زوايا تجعل المساحة الأمامية أضيق من الشكل الخارجي للمقبرة كما في هرم الملك تهارقا (Nu.1)(Dunham,1955:.9). تتوسط المقصورة أو المعبد الجنائزي الجدار الشرقي للهرم وتلتصق به، وتحتوي على غرفة واحدة بابها في الجهة الشرقية، وفيها كوة في الجهة الشرقية أعلى الباب. أما عن الأشياء التي كانت توضع في هذه المقصورات فتألفت من مائدة قربان مرتكزة على عمود قصير موضوع في وسط الغرفة(سليم حسن، 1956م، ٢٦٦). توضع اللوحات الجنائزية في الأصل خارج القبر شرق البناء الفوقي أو داخل المقصورات الجنائزية. وانتشر استخدامها في المدافن الكوشية بدءً بجبانة نوري، حيث وجدت في مدافن عدد من الملوك والملكات(وليام آدمز، 2005، ٢٦٥). كانت اللوحات تزين بالنقوش وتجهز بطاولات العطايا والمسلات(علي قسم السيد، ١٩٨٢م، ٦٢).

نماذج من مدافن الملوك التاليين للملك تهارقا:

(١) هرم الملك أتلانيرسا (Nu.20):

بنى الملك أتلانيرسا ابن تهارقا هرمه في ذات الجبانة بزاوية انحدار ٦٦°. وتبلغ مساحة الهرم في القاعدة ١٢.٠٩ متراً مربعاً، ومن الناحية الشرقية للهرم ينحدر سلم يتكون من ٣٦ عتبة تقود إلى غرف الدفن. ويعد من الأهرامات الملكية الصغيرة في الجبانة، وأعطاه رايزنر الرقم (Nu.20) (Dunham,1955.32-33).

يعتبر اتلانيرسا معروفاً من تمثاله الرائع المنحوت من حجر الجرانيت، والذي عثر عليه في جبل البركل، والموجود حالياً في متحف بوسطن للفنون الجميلة. احتمال أنه توفي بصورة مفاجئة، ذلك أن كلاً من معبده في جبل البركل ومدفنه في نوري بقيا غير مكتملين عند وفاته(Reisner, 1918: 40-42).

(٢) هرم الملك سنكامنسكن (Nu.3):

بنى الملك سنكامنسكن ابن أتلانيرسا هرمه في جبانة نوري أيضاً بزاوية انحدار تبلغ ٦٦°. وتقدر مساحة قاعدة الهرم بـ ٢٧.٥٩ متراً، وأعطاه المنقِّب الرقم (Nu.3). يشتمل الهرم على معبد جنائزي، وبه سلم يتكون من ٥٠ عتبة تقود إلى البناء السفلي(Dunham, 1955 .41).

عرف هذا الملك فقط من آثاره، إذ لم يكشف عن نقوش تاريخية باسمه. ومن إنجازاته قام بإكمال المعبد الذي بدأ تشييده والده أتلانيرسا بجبل البركل. ونصب سنكامنسكن تمثالاً ضخماً لجلالته بالقرب من بوابة المعبد، يبلغ ارتفاعه حوالي أربعة أمتار، وهو موجود حالياً بمتحف السودان القومي في الخرطوم. وعثر المنقبون أيضاً على ثلاثة تماثيل صغيرة لهذا الملك وتمثال آخر على هيئة أبو الهول(سامية بشير، ٢٠٠٥م ، ٩٣). عاشت زوجته الرئيسة، الملكة ناسالسا من بعده، وهي أم لابنيه الذين قدر لهما أن يصبحا ملكين.

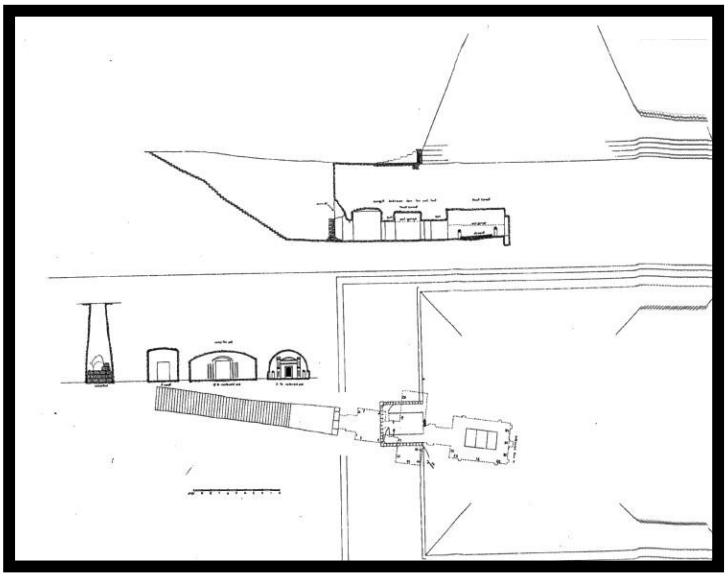

شكل رقم (٣) يبيّن مدفن الملك سنكامنسكن (عن دانهام ١٩٥٥م)

وعليه، تم اتخاذ مدفن الملك سنكامنسكن كنموذج للمدافن التي شهدت تطور الدفن في بناها السفلية، لأنه أولى المقابر التي تم إضافة غرفة ثالثة له كما هو واضح من الشكل أعلاه.

(٣) هرم الملك أنلاماني (Nu.6):

أما الملك أنلاماني ابن سنكامنسكن فقد شيد هرماً (Nu.6) تبلغ مساحته في القاعدة حوالي ٢٧.٩٠ متراً مربعاً، وبزاوية انحدار٦٠، وتم بناء المعبد الجنائزي ذي بوابة ضخمة وحائط داخلي ومحراب كبير من الجرانيت وأرضية مرصوفة، وهنالك سلم يتكون من ٥٧ عتبة تقود إلى غرف الدفن(Dunham, 1955, 56).

تعرف الآثاريون على هذا الملك من مسلته المنقوشة التي تم الكشف عنها في الكوة، والتي تصف مراسم تتويجه، تحتوي أيضاً على قراره بجعل أربعة من شقيقاته (عازفات صلصال) في المعابد الآمونية القومية الأربعة. ويصف النقش أيضاً حملاته العسكرية ضد قبائل الصحراء التي يسميها (البلهاو)، ونجح جيشه في هزيمتها وأسر الرجال والنساء الذين صاروا خدماً في المعابد. عُثِر على تمثالين لهذا الملك في جبل البركل. واحد منها بالحجم الطبيعي للملك وهو الآن بالمتحف القومي بالخرطوم، والثاني يبلغ ارتفاعه حوالي ١٢ قدماً وهو الآن بمتحف بوسطن للفنون الجميلة(سامية بشير، ٢٠٠٥م ، ٩٥-٩٨).

(٤) هرم الملك أسبلتا (Nu.8):

تبلغ مساحة هرم الملك أسبلتا (Nu.8) حوالي ٢٧.٤٥ متراً مربعاً في القاعدة، وبزاوية انحدر٦٥، بنيت مقصورته من الحجر الرملي في شكل بسيط، ونهايتها الشرقية مهدمة لكنها تمثل بوابة ضخمة تتراجع نحو باب المدخل، وللهرم سلم

يتكون من ٦٤ عتبة تنحدر من جهة الشرق نحو غرف الدفن الثلاث(Dunham,1955.78).

يقتضي كبر حجم هرم أسبلتا أن نسلط الضوء على أبرز معالم تاريخ هذا الملك، فهو شقيقاً للملك أنلماني. أصبح ملكاً بعد وفاة شقيقه. وفي العام الثاني من حكمه واجه مشاكل مع بعض الكهنة وأمر بقتلهم. لكنه تبرأ من ذلك بعد فترة وجيزة، وقدَّم هدايا كثيرة للمعبد، وشيَّد مدافن لبعض الرسميين الذين توفوا منذ أزمان طويلة، والذين لم تكن لهم مدافن. يبدو أنه فكَّر في وقت مبكر من فترة حكمه في إعادة فتح مصر، فهاجمه ملك مصر بسماتيك الثاني الذي قام بغزو كوش بجيش مؤلف من المصريين والمرتزقة الإغريق، وهزم القوات الكوشية في ٥٩١ ق.م. بعد هذه الواقعة، نقل أسبلتا العاصمة جنوباً إلى مروي (البجراوية) في ٥٩١ ق.م. يوجد تمثال ضخم من الجرانيت لهذا الملك بمتحف بوسطن للفنون الجميلة، وله تمثال على هيئة أبي هول في المتحف القومي للآثار بالخرطوم. وهرمه في نوري يعد من أفضل المدافن والأكثر اكتمالاً بين الأهرامات الملكية وهو أقلها تعرضاً للنهب. عثر رايزنر على العديد من المجوهرات الرائعة والجرار المصنوعة من الذهب والمرمر في مدفنه. تلك المكتشفات موزعة الآن بين متحفي بوسطن للفنون الجميلة والسودان القومي للآثار بالخرطوم(وليام آدمز، ٢٠٠٥م، ٢٥٥-٢٥٦).

(٥) هرم الملك أمتالقا (Nu.9):

بنى الملك أمتالقا (Nu.9) هرمه في مساحة تقدر بحوالي ٢٧.٥٠ متراً في القاعدة، وبزاوية انحدار يصعب تحديدها لتأثير الهرم بعوامل التعرية، بنيت المقصورة من الحجر الرملي من غير بوابة، والمدخل غير واضح المعالم، ربما يتراجع نحو المحراب على الحائط الغربي، وللقبر سلم يتكون من ٦٠ عتبة تقود إلى غرف الدفن(Dunham, 1955: 120).

(٦) هرم الملك مالناقن (Nu.5):

بنى الملك مالناقن (Nu.5) هرمة في مساحة تقدر بحوالي ٢٧.٨٠ متراً في القاعدة، وبزاوية انحدار غير مسجلة، به سلم يتكون من ٥٦ عتبة يؤدي إلى أرض مسطحة تقود إلى كتلة بوابة حجرية غير منتظمة والتي قام اللصوص بكسر جزء منها(Dunham, 1955: 140).

(٧) هرم الملك أماني نتي يركي (Nu.12):

تقدر مساحة هرم الملك أماني نتي يركي (Nu.12) بحوالي ٢٦.٤٥ متراً مربعاً في القاعدة، وبزاوية انحدار تبلغ٦٢، بني المعبد الجنائزي من الحجر الرملي، ويتكون السلم من ٤٧ عتبة(Dunham. 1955: 211).

يُعد أماني نتي يركي أحد الملوك القلائل المعروفين لحد كبير نسبياً بعد أسبلتو وهو معروف من كتاباته. ويرجع السبب في ذلك إلى أن قلة من الناس في كوش، صاروا يتقنون القراءة والكتابة باللغة المصرية. خلَّف نقوشاً كتبت في أوقات مختلفة من فترة حكمه نصبت في معبد آمون بالكوة. وتخبر تلك الكتابات أنه اعتلى العرش عندما كان شاباً، وأنه حكم على الأقل لمدة خمسة وعشرين سنةً. ويروي أحد النقوش أنه قبل تتويجه ملكاً، أخذ البدو الموجودون إلى الشرق من مروي في الانقضاض عليها، لذا توجب عليه شن الحرب عليهم. وأصبح قادراً بعد ذلك على الذهاب إلى معبد آمون في جبل البركل لإكمال مراسم تتويجه. وقام برحلة إلى الشمال حيث معبد الكوة، لكنه وُوجه بثورة قبائل المدد البدوية عليه وهو في طريقه إلى الكوة. عندها أرسل جيشه للاستيلاء على أراضيهم، وأسر أهلهم للعمل خدماً في المعابد(سامية بشير، ٢٠٠٥م، ١١٦-١٢٣).

(٨) هرم الملك نستاسن (Nu.15):

يعد هرم الملك نستاسن (Nu.15) آخر هرم بني في الجبانة، ويوصف بأنه سيء البناء، ولم يستطع رايزنر تحديد مقاييس مفصلة عنه. وتبلغ مساحة قاعدته حوالي ٢٦.٠٤ متراً مربعاً. أما مقصورته الجنائزية فبنيت من الحجر الرملي، ووجدت نقوش تحمل ألقاب الملك الشرفية، وبالقبر سلم يتكون من ٦١ عتبة، السفلى منها شديدة الارتفاع(Dunham. 1955. 246).

تعرف الآثاريون على نذر من سيرة هذا الملك من مسلة نصبت أصلاً في جبل البركل؛ لكنها وجدت في لِتّي، وأخذت إلى هناك في الأزمان القديمة، واستخدمت في بناء يرجع للعصر المسيحي. لا تتوفر معلومات مؤكدة عن فترة حكمه، إلا أنَّ نصه الذي يرجع للعام الثامن من حكمه يصف مثل غيره من النقوش الملكية الكوشية رحلة الملك من مروي إلى نبتة لإتمام مراسم تتويجه في معبد آمون العظيم بجبل البركل. ويصف النص أيضاً زياراته للمعابد المهمة في الشمال. يخبرنا النص أنه في الفترة المبكرة لحكم نستاسن قام زعيم من مصر يسمى كمباسودن بغزو النوبة السفلى. وجاء كمباسودن على ظهر مراكب، ومعه أناس ومواشي. لكن نجح جيش نستاسن في إلحاق الهزيمة بالغزاة ، وغنم كنوزهم ، ووهبها للإله آمون(سامية بشير، ٢٠٠٥م، ١٢٩-١٣٣). تعمل الآن بعثة جامعة أريزونا الأمريكية بقيادة بول(المختص في الآثار الغارقة) بجبانة نوري، وتعمل منذ

مواسم سابقة وحتى الآن بالعمل في الجبانة حيث ركزت المواسم السابقة على مدفن الملك نستاسن الذي غمرت غرف دفنه المياه. وهذا الموسم ٢٠٢٣م واصلت البعثة عملها بالهرم بالإضافة إلى العمل في المعبد الجنائزي الملحق بالجبانة.

خلاصة القول يمكننا ملاحظة أن هذه الأهرامات جميعاً بنيت من الحجر الرملي سهل التفتيت لذا لم يصمد أمام عوامل التعرية، كما تميز كل منها باحتوائها على معبد جنائزي في الجانب الشرقي للهرم، بُني أيضاً من الحجر الرملي، وتتشابه تلك الأهرامات من حيث الانحدار وتتقارب في زوايا انحدارها، وهذا يكاد يكون ملمحاً واضحاً لهذه الأهرامات(Hakem. 1988:.247).

الجدول التالي يوضح مساحة أهرامات الملوك في القاعدة بعد تصنيفها في مجموعتين، تشتمل المجموعة الأولى الأهرامات ذات القاعدة الكبيرة، وتضم ثلاثة عشر هرماً، بينما تشمل المجموعة الثانية الأهرامات ذات القاعدة الصغيرة، وتضم خمسة أهرامات.

جدول رقم (١) الأهرامات ذات القاعدة الكبيرة(Dunham.D.,1955:41,56,78,120,140,154,161,168,176,194,211, 221,246.)

رقم	اسم الملك	تاريخ الحكم	مساحة الهرم في القاعدة
١	تهارقا Nu.1	٦٩٠-٦٦٤ ق.م	حوالي ٥٢ متراً مربعاً
٢	سنكامنسكن Nu.3	٦٤٣-٦٢٣ ق.م	حوالي ٢٧.٥٩ متراً مربعاً
٣	أنلاماني Nu.6	٦٢٣-٥٩٣ ق.م	حوالي ٢٧.٩٠ متراً مربعاً
٤	أسبلتو Nu.8	٥٩٣-٥٦٨ ق.م	حوالي ٢٧.٥٨ متراً مربعاً
٥	أمتالقا Nu.9	٥٦٨-٥٥٥ ق.م	حوالي ٢٧.٥٠ متراً مربعاً
٦	مالناقن Nu.5	٥٥٥-٥٤٢ ق.م	حوالي ٢٧.٨٠ متراً مربعاً
٧	أماني نتك لبتي Nu.10	٥٣٨-٥١٩ ق.م	حوالي ٢٨.٤٤ متراً مربعاً
٨	كاركاماني Nu.7	٥١٩-٥١٠ ق.م	حوالي ٢٧.٤٠ متراً مربعاً
٩	أماني أستبارقا Nu.2	٥١٠-٤٨٧ ق.م	حوالي ٢٧.٩٠ متراً مربعاً
١٠	سيسيقا Nu.4	٤٨٧-٤٦٨ ق.م	حوالي ٢٦.٩٥ متراً مربعاً
١١	مالوي باماني Nu.11	٤٦٣-٤٣٥ ق.م	حوالي ٢٦.٦٠ متراً مربعاً
١٢	أماني نتي يركي Nu.12	٤٣١-٤٠٥ ق.م	حوالي ٢٦.٤٠ متراً مربعاً
١٣	حارسيوتف Nu.13	٤٠٤-٣٦٩ ق.م	حوالي ٢٦.٤٠ متراً مربعاً

١٤	أخراتان Nu. 14	٣٤٢-٣٢٨ق.م	حوالي ٢٦.٢٠ متراً مربعاً
١٥	نستاسن Nu.15	٣٣٥-٣١٥ ق.م	حوالي ٢٦.٠٤ متراً مربعاً

من الجدول أعلاه نستنتج أن مساحة الأهرامات في القاعدة تكاد تكون متقاربة عدا هرم تهارقاالذي يعد أكبر هرم في الجبانة.

أما الأهرامات ذات القاعدة الصغيرة فتمثلها مقابر خمس من الملوك مدرجة ضمن الجدول التالي :

جدول رقم (٢) الأهرامات ذات القاعدة الصغيرة(Dunham.1955:.32,150,184, 207, 218)

اسم الملك	تاريخ الحكم	مساحة الهرم في القاعدة
أتلانيرسا Nu.20	٦٥٣-٦٤٣ ق.م	حوالي ١٢.٠٩ متراً مربعاً
أنلامايا Nu.18	٥٤٢-٥٣٨ ق.م	حوالي ١٠.٤٨ متراً مربعاً
نسخاما Nu.19	٤٦٨-٤٦٣ ق.م	حوالي ٩.٧٣ متراً مربعاً
تلخماني Nu.16	٤٣٥-٤٣١ ق.م	حوالي ١١.٨٠ متراً مربعاً
باسكاكرين Nu.17	٤٠٥-٤٠٤ ق.م	حوالي ١٢.٣٠ متراً مربعاً

من الجدول أعلاه نستنتج أن حجم قاعدة هذه الأهرامات أصبح صغير نسبياً مقارنة بالأهرامات السابقة بالجدول رقم (١). فهل يعود ذلك لقصر فترة حكم هؤلاء الملوك ؟ أم أنهم لم يتمكنوا من تشييدها في سني حياتهم، أم لأسباب أخرى، هذا يحتاج للمزيد من البحث الذي ربما يجب لنا عن هذه التساؤلات.

فن البناء التحتي في مدافن جبانة نوري:

يتكون البناء التحتي للمدافن الملكية في جبانة نوري من سلم يؤدي إلى الغرف الداخلية، وهذه الغرف تختلف من حيث الحجم والعدد على حسب التطور في الفترات اللاحقة، وهي عادة ما تكون مقطوعة في الصخر، وتتكون إما من غرفتين أو ثلاث في مقابر الملوك، بينما توجد غرفتان في مقابر الملكات. خصصت الغرفة الأخيرة في كل الأهرامات للدفن، ويوضع فيها الجثمان على مسطبة مرتفعة بعض الشيء، خاصة في مقابر الملوك. قطعت تلك المساطب من الصخر في منتصف غرفة الدفن، أما الغرفة الأولى فمدخلها متصل بالسلم، بينما تتصل الغرفة الثانية بممر مع الغرفتين الأولى والثالثة(Dunham, 1955: 128).

قطعت الغرف التي وضع فيها الجثمان مباشرة تحت الهرم، في حين أن الغرف الجنائزية الأخرى والدهليز المؤدي إليها تمتد شرقاً من الهرم، لذا كان الوصول إلى هذه الغرف يتم عن طريق سلسلة من السلالم تنحدر من الشرق. بعد الفراغ من

نحت القبر الملكي يُسد الطريق الذي يؤدي إلى المدخل بين السلم والدهليز المؤدي لمكان الجثمان بالتراب(وليام آدمز، ٢٠٠٥م، ٢٦٥).

شهد البناء السفلي في أهرامات نوري تطوراً في المحتوى والحجم عبر مرحلتين، فقد زاد عدد الغرف من اثنتين إلى ثلاث، وأدى هذا إلى زيادة مساحة المدفن التحتية، فتمثلت المرحلة الأولى في قبر الملك تهارقا(Nu.1) وهرم الملك اتلانيرسا (Nu.20)(Dunham, 1955: 8-10).

يعتبر قبر الملك أتلانيرسا (Nu.20) ابن الملك تهارقو، أصغر حجماً من قبر والده، فقد احتوى البناء التحتي على غرفتين، وبه سلم يتكون من ٣٦ عتبة قطعت تحت الممر الذي يفضي إلى الجدار الشرقي. تبلغ مساحة الغرفة الأولى (٢.٦٠×٢.٥٠) متراً، أما الغرفة الثانية "الرئيسة" تبلغ أبعادها حوالي (٥.٦٥×٣.٧٥) متراً(Dunham, 1955: 32).

شهدت جبانة نوري تطوراً باشتمالها على ثلاث غرف للدفن وصار تقليداً منذ فترة الملك سنكامنسكن (٦٤٣-٦٢٣ق.م) (Nu.3). ربما أضيفت الغرفة الثالثة ليوضع فيها الأثاث الجنائزي الذي كان دون قدرة استيعاب الغرفتين(Dunham,1955:41). كانت غرف الدفن الثلاث تنسق على النحو التالي: الغرفة الأولى هي أكثر الغرف قرباً من المقصورة، ونقش على جدرانها أجزاء من الفصل الخامس والعشرين من كتاب الموتى، أما الغرفة الثانية فهي أوسع من الأولى وتوجد عند تقاطع محور الهرم، يزين جدارنها نص الاعتراف المأخوذ أيضاً من كتاب الموتى، أما الغرفة الثالثة فهي الأطول وهي المكان الفعلي الذي يوضع فيه الجثمان والجزء الأكبر من القرابين. لكن أبعادها لم تكن ثابتة، إذْ تختلف من مدفن لآخر(وليام آدمز، ٢٠٠٥م، ٢٦٥). واستمر هذا التقليد حتى عهد الملك تانيد أمني (١٢٠-١٠٠ق.م) الذي كان آخر ملك قام بإنشاء ثلاث غرف دفن، أي أن هذا التقليد استمر لفترة خمس قرون(Reisner, 1919: 250).

لاحظ الباحث أن مدفن الملك باسكاكرين (Nu.17) الذي حكم في الفترة (٤٠٥-٤٠٤ ق.م) به غرفتين لا ثلاث(Dunham,1955:218). ربما يفسر ذلك الوضع بأنه لم يتمكن من إكمال البناء التحتي كسابقيه. أو ربما اضطرته بعض الظروف لأن يتخذ غرفتين لا ثلاث. وبهذا يكون الباحث قد ساهم في تغيير المفهوم الذي كان سائداً عند كثير من الكتاب الذين يقولون: أن عدد غرف الدفن زاد من غرفتين إلى ثلاثة منذ عهد الملك سنكامنسكن وصار هذا التقليد هو السائد حتى عهد الملك تانيد أماني المدفون بالبجراوية الشمالية.

يمكن ملاحظة حجم غرف الدفن من الجدول التالي، وهو خاص بالمدافن ذات الغرف الثلاث.

جدول رقم (٣) يوضح حجم غرف الدفن في الأهرامات ذات الغرف الثلاث

اسم الملك وهرمه	حجم الغرف		
	الغرفة الأولى	الغرفة الثانية	الغرفة الثالثة
سنكامنسكن (Nu.3)	٣.٣٠×٣.٢٥	٧.٥٥×٢.٩٠	٤.٣٠×٦.٧٥
أنلاماني (Nu.6)	٣.٣٥×٣.٤٠	٦.٤٥×٣.٤٥	٤.٨٢×٦.٥٠
أسبلتو (Nu.8)	٣.١٠×٣.٠٠	٥.٦٠×٣.٧٠	٤.٦٠×٦.٦٠
أمتالقا (Nu.9)	٤.٢٠×٣.٩٠	٦.٤٠×٤.٠٠	٦.٠٠×٨.٢٠
مالناقن (Nu.5)	٣.٢٠×٢.٨٠	٦.٢٠×٣.١٠	٥.٠٠×٨.٤٠
أنلمايا (Nu.18)	٢.٨٠×٣.٣٠	٢.٧٠×٣.١٠	٣.٤٠×٥.٠٠
أماني نتك لبتي (Nu.10)	٣.٣٠×٣.٦٠	٤.٠٠×٤.٢٠	٤.١٠×٥.٣٠
كاركامني (Nu.7)	٤.٢٠×٥.٠٠	٥.٩٠×٦.٣٠	٦.٣٠×٧.٢٠
أماني ستبارقا (Nu.2)	٤.٣٠×٤.٩٠	٥.٩٠×٥.٥٠	٦.١٠×٧.٨٠
سياسيقا (Nu.4)	٤.٠٠×٤.٩٠	٥.٩٠×٥.٨٠	٦.٦٥×٧.٥٠
نسخاما (Nu.19)	٣.٣٠×٤.٢٠	٣.٢٠×٣.٩٠	٣.٩٠×٤.٨٠
مالوي بامني (Nu.11)	٤.٢٠×٥.٣٠	٥.٩٠×٧.١٠	٦.٤٠×٧.١٠
تلخاماني (Nu.16)	٤.٥٠×٤.٦٠	٥.٨٠×٦.٦٠	٦.٦٠×٧.١٠
أماني نتي يركي (Nu.12)	٤.٤٠×٥.٤٠	٦.٧٠×٥.٩٠	لم يتم كشفها
باسكرين (Nu.17)	٣.٨٠×٤.٦٠	٣.٦٠×٥.٣٠	----
حارسيوتف (Nu.13)	لم تقاس	الغرفتين ٢ و ٣ لم يتم الكشف عنهما	
أخراتان (Nu. 14)	لم يتم حفرها نسبة لتهدمها		
نستاسن (Nu.15)	الغرفتين ١ و ٢ ليست بهما مقاييس لانهيارهما		لم يتم حفرها

المصدر: دانهام ١٩٥٥م

بالنظر إلى الجدول أعلاه مقروء بالجدول رقم (٢) بالنسبة لهرم الملك تلخماني (Nu.16) والذي تبلغ مساحته في القاعدة حوالي ١١.٨٠ متراً مربعاً، نستنتج أن مساحة غرف الدفن والدرج النازل إليها المكون من ٤٧ عتبة لا يتناسب وحجم الهرم إذا ما قورن ببقية الأهرامات الأخرى، ويمكننا القول أن هذا الهرم قد شيِّد بعد موت الملك، ولم يتمكن من بنائه في سني حياته. يرى ديريك ولسبي أن وفاة هذا الملك حدثت فجأة، فلم يتمكن من تشييد هرمه؛ بل عمل خليفته على تشييد هرم له على عجل(Welsby, 1998: 109).

أما أهرامات الملكات فقد تكونت من غرفتين فقط للدفن، بجانب سلم يقود إلى الغرف، فتميزت الغرفة الأولى بوجود ممر يفضي إلى غرفة الدفن(Dunham,1955.19-20) فعلى سبيل المثال نأخذ هرم الملكة آتخيباسكين زوجة الملك تهارقاوالذي تبلغ مساحته في القاعدة ١١.١٠ متراً مربعاً في القاعدة، وبه غرفتين دفن يتم الوصول إليها عبر سلم يبلغ طوله ٤٧ درجة، مساحة الغرفة الأولى تبلغ ٣.٢٥×٢.٩٥ متراً، والغرفة الثانية تبلغ مساحتها ٥.٢٥×٣.٩٥ متراً.

تابوت الملكين أنلماني وأسبلتا:

دفن كل الملوك الكوشيين بجبانة نوري داخل توابيت مصنوعة من الخشب ومزينة بالمناظر الدينية الجنائزية متمثلة في الفصل السادس من كتاب الموتى ومتون الأهرام، ولكن ما تفرد به هذين الملكين هو أن قاما باستبدال التوابيت الخشبية بتوابيت حجرية قُطِعت من حجر الجرانيت وزينت بالمناظر الدينية الجنائزية، فكان الواحد يزن حوالي ١٥ طناً، يرى الباحث أن وجود مثل هذه التوابيت في مدفن هذين الملكين تدل على أنهما عاشات في فترة كان الاقتصادي الكوشي في قمة ازدهاره، فإذا نظرنا لإنجازات الملك تهارقا نجد أنه قام ببناء العديد من الصروح وترميم ما كان آيل للسقوط وأضاف بعض البنى في المعابد، هذا بالإضافة لتماثيله التي وجدت في خبيئة التماثيل بدكي قيل والتي عثر عليها السويسري شارلس بونيه شمال كرمة.

صورة لتابوت الملك أسبلتا المحفوظ بمتحف بوسطن

الخاتمة:

من خلال هذا العرض لبنى القبور العلوية والسفلية بجبانة نوري الملكية التي افتتحها الملك تهارقا وسار على هديه بقية الملوك نستنتج الآتي:

١. وقع الاختيار على هضبة نوري لإنشاء جبانة ملكية جديدة متناغماً مع رؤية تهارقا الكونية للعالمين الدنيوي والأخروي، وانحدرت تلك الرؤية من القيمة المكثفة لجبل البركل كموقع مقدس بصفة لا متناهية لكونه مقر الآلهة – وكبيرها آمون معبود ملوك الأسرة الخامسة والعشرين. وينعكس ذلك تماماً على تخطيط غرف الدفن التي تشبه المزار الذي شيده الملك ستي الأول في أبيدوس لأوزريس.

٢. صارت كل البنى العلوية للمدافن في شكل أهرامات، وذلك لأنها أتت بعد التمرحل والتطور الذي شهدته جبانة الكرو الملكية.

٣. التراصف الموجود في شكل أهرامات الملوك في جهة الشرق في شكل هلال، وأهرامات الملكات التي اصطفت في الجانب الآخر بأن جعلت هرم الملك تهارقا في الوسط.

٤. دفن الملوك في اتجاه والملكات في اتجاه آخر، مما يعني أن الملكات لا يدفن مع الملوك في نفس الاتجاه، بل خصص لكل نوع اتجاه واحد، ويظهر ذلك جلياً في جبانة الكرو، ويختفي في مدافن البجراوية.

٥. زاد عدد غرف الدفن بعد الملك سنكامنسكن من غرفتين إلى ثلاث غرف، والمغزى من ذلك كي تستوعب الأثاث الجنائزي الثمين، علماً بأن بلاد كوش بعد أن فقدت مصر ركز حكامها على توطيد أركان الدولة من الداخل.

٦. دفن الأخوين الملكية أنلماني وأسبلتا داخل توابيت مصنوعة مح حجر الجرانيت بدلاً عن الدفن داخل توابيت خشبية خلافاً لما كان متبع، فربما لاحظا أن التابيت الخشبية سريعة التآكل، فاستعاضا عنها بالتوابيت الحجرية، فأحجامها الثقيلة يقودنا إلى أنهما عاشا في وقت رخاء للمملكة انعكس على مدفنيهما. ويمثل تابوتيهما قمة الروعة في الفن والنقش... حيث يوجد تابوت الملك أنلماني بالمتحف القومي بالخرطوم، وتابوت الملك أسبلتا بمتحف بوسطن للفنون الجميل بأمريكا.

٧. تكونت مقابر الملكات في بناها السفلية من غرفتين في كل المدافن، وليس هنالك مدفن به ثلاث غرف دفن.

٨. تفاوتت أحجام أهرام الملوك بجبانة نوري، هنالك أهرامات ذات قاعدة كبيرة وتشمل هذه الفئة على ١٥ هرماً، بينما ٥ أهرامات كانت ذات قاعدة صغيرة.

٩. لم يدفن خليفة تهارقا الملك تانوت أماني في نوري لسبب أو لآخر؛ بل دفن في الكرو، لكن حرص الملوك التاليين لتانوت أماني أن يدفنوا في نوري، كما كانت مقراً أبدياً لزوجاتهم ذوات المكانة الرفيعة.

المصادر والمراجع:

١. آدمز، وليام(٢٠٠٥م) النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، مطبعة الفاطيما، القاهرة، ط٢.

٢. بكر، محمد إبراهيم (١٩٦٨م) المدخل لتاريخ السودان القديم، المطبعة الفنية الحديثة، مصر.

٣. بكر، محمد إبراهيم(١٩٩٨م) تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٤. بونيه، شارلس(١٩٩٦-١٩٩٨م) "المجموعة الأولى وما قبل كرمة" في السودان ممالك على النيل، إعداد دييتريش فيلدونغ، ترجمة بدر الدين عروكي، معهد العالم العربي، باريس.

٥. بونيه، شارلس(١٩٩٦-١٩٩٨م) "الممالك الأولى (٢٥٠٠-١٠٧٥ ق.م) المجموعة الثالثة"، في السودان ممالك على النيل، إعداد دييتريش فيلدونغ، ترجمة بدر الدين عروكي، معهد العالم العربي، باريس.

٦. بونيه، شارلس(١٩٩٦-١٩٩٨م) "مملكة كرمة ٢٥٠٠-١٥٠٠ق.م" في السودان ممالك على النيل، إعداد دييتريش فيلدونغ، ترجمة بدر الدين عروكي، معهد العالم العربي، باريس.

٧. الحسن، الحسن محمد أحمد (٢٠٠٧م) آثار الملك تهارقا في وادي النيل (٦٩٠-٦٦٤ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم.

٨. حسن، سليم (١٩٥٦م) مصر الفرعونية ، ج١١، مطبعة جامعة القاهرة.

٩. دفع الله، سامية بشير (٢٠٠٥م) تاريخ مملكة كوش، دار الأشقاء للطباعة والنشر، الخرطوم بحري، ط١، ٢٠٠٥م.

١٠. السمحوني، عثمان عبد الله (١٩٧١م) نبتة ومروي في بلاد كوش ، شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، الخرطوم.

١١. عيسى، خضر آدم(٢٠٠٢م) الأثاث والعادات الجنائزية الكوشية في العصر المروي، ١٩٩٢م، ترجمة محمد أحمد ضي النور، جامعة الخرطوم.

١٢. قسم السيد، علي أحمد(١٩٩٨م) الأهمية الأثرية والتاريخية لجبانة الكرو الملكية، ١٩٨٢م، ترجمة سارة حسن محمد إسماعيل البيلي.

١٣. كنـــدال، تيمـــوثي (١٩٩٦-١٩٩٨م) "ملـــوك الجبـــل المقـــدس: نباتـــا وأســـرة الكوشـــيين" فـــي معـــرض الســـودان ممالـــك علـــى النيـــل، إشـــراف ديبتـــريش فيلدونغ، ترجمة بدر الدين عروكي، باريس.

١٤. كنـــدال، تيمـــوثي (د.ت) "مملكـــة كـــوش" فـــي معـــرض النوبـــة ممالـــك الســـودان في النيل، مؤسسة لاكيشا، أسبانيا مدريد.

15. Arkell. A.J., 1961. A History of the Sudan from the Earliest Time to 1821. Second Edition. London.
16. Dunham. D., 1955., Royal Cemetery of Kush. Harvard.
17. Fairsevice. W.A., 1962: The Ancient Kingdoms of the Nile and the Doomed Monuments of Nubia, New York.
18. Hakem. A.M.A., 1988: Meroitic Architecture A Background of An African Civilization, Khartoum University Press.
19. Kendall. T., 2006: Why Did Taharqo Build his Tomb at Nuri? An unpublished Paper Presented in the 11th Conference of Nubian Studies, Warsaw.
20. Reisner. G.A., 1918a: "Known and Unknown Kings of Ethiopia" Museum of Fine Arts Bulletin, vol. 97.
21. Reisner. G.A., 1918b: "Preliminary Report on the Harvard-Boston Excavation at Nuri; The Kings of Ethiopia After Tirhaqa" Harvard African Studies, Veria Africana, Vol. 2, pp 1-64.
22. Reisner. G.A., 1919 : "Discovery of the Tomb of the Egyptian 25th Dynasty at El- Kurru in Dongola Province" SNR, Vol. 2, pp 237-254.
23. Reisner. G.A., 1923: "The Meroitic Kingdom of Ethiopia Chronological Outline" JEA. vol. 4. London.
24. Reisner, G.A., 1923: Excavation at Kerma, Part (1-3) Harvard African Studies, Vol. 5.
25. Trigger. B.G., 1967: Nubia under the Pharaohs, Thames and the Hudson. London.
26. Welsby. D. A., 1998: The Kingdom of Kush. Boston.